خير أمة أخرجت للناس

يا زمــانـي أنا حـــرٌّ ... حـــرر الإســـلامُ ذاتـي
أنــا بالله عـــزيــزٌ ... عـــزتي في ســجــداتي
أنـــا لـــلَّـــه ولـــيٌّ ... لا لـعُــــزى أو مـــناةِ
أنا عـــبـــد الله لا عـــبـ ... ـد الهـوى والشـهـــواتِ
أنا أقـــوى الخلق بالـلـ ... ـه، بذكـــرى، بصـــلاتي
إن يكن قــد تاه (إيليــا) ... في فـيــافي الفلســفـاتِ
فــأنا أدري- وأدري ... لِـمَ أدري- ســـر ذاتي
أنا أدري غــايتي، أعـ ... ـرفُ منهــاج حـــيــاتي
حـســبي القــرآن أتلو ... ه فـيــحـيـي لي مــواتي[(١)]

• «لما أسلم أبو ذر -رضي الله عنه- قال له رسول الله ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري، قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم.. فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته:

---

(١) ديوان المسلمون قادمون، مرجع سابق.

أشهد ألا إلـه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. ثم قـام القوم فضربوه حتى أضجعوه..

وأتى العبـاس فأكب عليه. قال: ويلكم، ألسـتم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجّاركم إلى الشام؟ فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه، وثاروا عليه، فأكب العباس عليه»[١].

لقـد خلق الله هذه الأمـة عـزيزة أبيـة، لـتكون شـاهدًا على الأمم الأخرى، فلم تعبد غـيره، ولـم تسجد لسواه، وحاشـاها أن تتخذ إلهًا غير الله، أو تنحرف بالعبادة كما انحرفت أمم قبلها.

ولقـد شُرع القـتـال فى الإسلام، لرد الاعـتـداء، والقيـام بواجب الدعوة، وإعـادة تأهيل البشريـة لمرحلة جديدة تصان فـيها الحـرمات، ويُقتص من القوى للضعيف، ويؤخـذ على يد الظالم الفاسد، رغم ما فى هذا الإجراء (القتال) من تضحيات وخسائر، هى فى الحقيقة مكسب هائل للبشريـة، ومنّة من رب الأرض والسموات.. ﴿**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**﴾ [النساء: ٧٤، ٧٥].

(١) اللؤلؤ والمرجان ص٦٦٧، ٦٦٨- نقلاً عن: الابتلاء والمحن فى الدعوات، مرجع سابق.

وهذه الأمة الخاتمة، هي التي وضعت أول دستور للمعاملات الإنسانية، وعلى رأسها حقوق الإنسان، نزل به الوحي مفصلاً، فصارت لا تقبل الضيم على نفسها، ولا ترضاه لغيرها... والمسلم المستضعف معاتبٌ على هذا الضعف إذا لم يأخذ بأسباب القوة، والسعي للخروج من حالة الهوان التي يحياها.. ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ [النساء: ٩٧]. إن هذه القواعد النيرة، هي التي أعطت الحق لعلماء المسلمين في الاستغناء عن الملوك والأمراء، ومن ثم عدم الحرج من نصحهم وتقويمهم، والتصدي لهم إن تطلب الأمر ذلك..

- حج هشام بن عبد الملك، فلما كان في الطواف رأى سالم بن عبد الله وهو يطوف وحذاؤه في يديه، وعليه ثياب لا تساوي ثلاثة عشر درهمًا، فقال له هشام: يا سالم، أتريد حاجة أقضيها لك؟.

- قال سالم: أما تستحي من الله، تعرض عليّ الحوائج وأنا في بيت من لا يُعوز إلى غيره؟!.. فسكت هشام، فلما خرجا من الحرم قال له: هل تريد شيئًا؟

- قال سالم: أمن حوائج الدنيا أو الآخرة؟، -فقال: من حوائج الدنيا.

- فقال سالم: والله الذى لا إله إلا هو ما سألت حوائج الدنيا من الذى يملكها تبارك وتعالى؛ فكيف أسألها منك؟

● يروى الطبرى -فى أحداث العام الرابع عشر للهجرة:

«نزل رستم -قائد الفرس- بالقنطرة، وراسل زهرة بن حوبة -أحد قادة المسلمين- فخرج إليه حتى واقفه (اقترب منه) وواجهه، فأراد أن يصالحهم ويجعل لهم جُعلا على أن ينصرفوا عنه، ودار بينهما حوار طويل ختمه زهرة بقوله:

«إنا لم نأتكم لطلب الدنيا، إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة.. بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً، فدعانا إلى ربه، فأجبناه، فقال لنبيه ﷺ: إنى قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى، فإنا ننتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحدٌ إلا ذل، ولا يعتصم به أحد إلا عز. أما عموده الذى لا يصلح منه شىء إلا به، فشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى».

● لما افتخرت قريش على سلمان الفارسى، قال رضى الله عنه: «لكنى خلقتُ من نطفة مذرة، ثم أعود إلى جيفة منتنة، ثم آتى الميزان، فإن ثقل فأنا كريم، وإن خف فأنا لئيم. ثم أنشد:

أبى الإسلام لا أب لى سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

الاستعلاء بالإيمان.. وليس التعالى بالظلم

ليس من عزة المسلم ظلم الآخرين، أو التعدى عليهم، ولو كانوا كفارًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ..﴾ [النحل: ٩٠].

وهناك فرق كبير بين الاستعلاء الإيمانى الذى يقطع علاقة المسلم بالجاهلية، ويرفعه إلى مرتبة عليا يشعر معها بأنه خير من الكافرين والفاسقين فى الحال والمآل.. والاستعلاء الكاذب الذى يحمل المرء على الكبر وتجاوز الحد.. ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩].

● لقد ضرب جبلة بن الأيهم، آخر ملوك الغساسنة، المثل فى العزة المؤثمة والاستعلاء الكاذب، فكانت عاقبته سوءًا.. فقد كتب جبلة إلى عمر -رضى الله عنه- يعلمه بإسلامه ويستأذنه فى الوفود عليه، فسُرَّ بذلك هو والمسلمون. فكتب إليه عمر: أن أقدم فلك ما لنا وعليك ما علينا، فقدم فى خمسمائة فارس، فلما دنا من المدينة

ألبسهم الوشى المنسوخ بالذهب والحرير الأصفر، وجلل الخيل بجلال الديباج وطوقها بالذهب والفضة، ولبس جبلة تاجه وفيه قُرطا مارية، فلم يبق بالمدينة أحد إلا خرج للقائه، وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه، ثم حضر الموسم من عامه ذلك، فبينا هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجلٌ من فزارة فحلّه، فالتفت إليه جبلة مُغضبًا ولطمه فهشم أنفه، فاستعدى عليه إلى عمر رضى الله عنه، فبعث إليه يقول: ما دعاك إلى أن لطمت أخاك فهشمت أنفه؟

- قال: إنه وطئ إزارى فحلّه، فلولا حرمة البيت لأخذتُ الذى فيه عيناه. فقال له عمر: أمَّا أنت فقد أقررت، فإما أن تُرضيه وإلا أقدته منك.

- قال: أتُقِيده منى وأنا ملك وهو سوقة؟

- قال عمر: يا جبلة إنه قد جمعك وإياه الإسلام، فما تفضله إلا بالعافية.

- قال: والله لقد رجوت أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية.

- قال عمر: هو ذاك.

- قال: إذًا أتنصَّر.

- قال: إن تنصَّرت ضربتُ عنقك.

- فقال جبلة: أخِّرنى إلى غد يا أمير المؤمنين.

- قال: ذلك لك.

فلما كان الليل خرج هو وأصحابه فلم يلبث أن دخل القسطنطينية على هرقل فتنصر، فأعظم قدومه وسُر به، وأقطعه الأموال والأرضين والرباع»(١).

لقد أعز الله المسلمين بالإسلام، وقطع به فساد الجاهلية وموروث الظلم والظلام الإنساني.. وحينما وقع بعض الصحابة في المحظور، لقرب عهدهم بالجاهلية، فتعصبوا لقبائلهم، ورفعوا راياتها، ردّهم المصطفى الهادي ﷺ إلى إسلامهم ردًا جميلاً، مذكّرًا إياهم بفضل الدين عليهم؛ هذا الدين الذي يقيس الناس بمقاييس التقوى والإيمان، والتواضع والورع، وليس بمقاييس العنجهية والتفاخر بالآباء والأجداد.. لما ثار الحيان (الأوس والخزرج) بعد أن أوقع بينهم أحد اليهود، وتواعدوا على اللقاء للقتال، علم النبي ﷺ، فذكّرهم وأنذرهم، قال: «**يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بين قلوبكم**» [البخاري ومسلم]».

ولقد تبدلت الصورة بعد ذلك، فصار افتخار الصحابة بالسابقة في الدين، والمسارعة في الخيرات.. فقد افتخرت الأوس على الخزرج فقالت: «منا غسيل الملائكة (حنظلة بن الراهب)، ومنا من اهتز له العرش (سعد بن معاذ)، ومنا من حمته الدبر -أي النحل والزنابير-

(١) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٥٣٢- نقلاً عن: الثبات، د. محمد موسى الشريف، دار البيان للترجمة والتوزيع، ٢٠٠٧م.

(عاصم بن أبى الأقلح)، ومنا من أجيزت شهادته بشهادتين (خزيمة بن ثابت).

إنه الإيمان الذى يرعى الضعيف، ويسر الحزين، ويواسى المكلوم، ويقيم العدل بين الناس، مقتصًا من الظالم، بلا مهادنة، أو مساومة.. وإذا كان الإيمان يجعل صاحبه متواضعًا ورعًا فإنه يكرِّه إليه فى الوقت ذاته، الذل والخنوع والملق..

● خطب عمر بن الخطاب -فى وقت خلافته- فى الناس، فى وجود الولاة قال: إنى لم أستعمل عليكم عمالى ليضربوا أبشاركم، ويشتموا أعراضكم، ويأخذوا أموالكم، ولكن استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علىّ، يرفعها إلىّ حتى أقص منه. فقال عمرو ابن العاص: يا أمير المؤمنين، أرأيت إن أدَّب أميرٌ رجلاً من رعيته؛ أتقصه منه؟!، قال عمر: ومالى لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه؟.

قالوا لنا: الغرب!! قلت: صناعة وسياحة ومظاهر تغرينا
لكنه خاوٍ من الإيمان لا يرعى ضعيفًا أو يسر حزينا
الغرب مقبرة المبادئ لم يزل يرمى بسهم المغريات الدينا
الغرب مقبرة العدالة كلما رُفِعتْ يدٌ أبدى لها السكينا

وعلى هذا فإن الإسلام يحذر المفرطين فى حقوق الإنسان، حاكمين ومحكومين، يحذر الحكام لأن منهم من يستخدم سيفه وذهبه لتركيع

الناس له، والتسبيح بحمده، حتى يخشوه أكثر من خشيتهم لله، يقول النبى ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما بعدُ: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا**» [مسلم]. .

ويحذر المحكومين، لعجزهم وهوانهم، وانكسارهم أمام حكامهم؛ فلا يستطيعون ردهم عن الحكم بالهوى، ولا يقوون على أمرهم ونهيهم وتبصيرهم بالحق. . وأمثال هؤلاء المحكومين يميتون فى الأمة فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والسعى من أجل الإصلاح، يقول النبى ﷺ «**إنه ستكون بعدى أمراء، من صدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس منى ولستُ منه، وليس بوارد علىّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه، وهو وارد علىّ الحوض**» [النسائى].

برئتُ منك إذا هادنت طاغية ... دستوره البغي والإجحاف والغشم
السجن والقيد والعدوان عدته ... وشر أعدائه الإسلام والقيم
يقتات دمع الضحايا فى زنازنهم ... كأن أناتهم فى أذنه.. نغم
له بطانة سوءٍ كم طغت وبغت ... وهم على الشعب دومًا نكبة عمم[1]

(١) ديوان (لله والحق وفلسطين)، د. جابر قميحة، توزيع: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م.

● أخرج الحافظان الطبراني وأبو يعلى: أن معاوية بن أبي سفيان صعد المنبر فقال عند خطبته: إنما المال مالنا والفيء فيئنا فمن شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه.. فلم يجبه أحد.

فلما كان في الجمعة الثانية قال مثل ذلك فلم يجبه أحد. فلما كان في الجمعة الثالثة قال مثل مقالته، فقام إليه رجل ممن حضر المسجد فقال: كلا، إنما المال مالنا والفيء فيئنا فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيافنا.

فنزل معاوية فأرسل إلى الرجل فأدخله، فقال القوم: هلك الرجل، ثم دخل الناس فوجدوا الرجل معه على السرير.

فقال معاوية للناس: إن هذا أحياني أحياه الله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون بعدي أمراء يقولون ولا يُردُّ عليهم يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة**» وإني تكلمت أول جمعة فلم يردَّ عليّ أحد فخشيت أن أكون منهم، ثم تكلمت في الجمعة الثانية فلم يردَّ عليّ أحد فقلت في نفسي: إني من القوم، ثم تكلمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فردَّ عليّ فأحياني أحياه الله»(١).

---

(١) مجمع الزوائد ٥/٢٣٦- نقلاً عن: مواقف في الجرأة، د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

احذروا التنازل والاستدراج

إن مما يقدح في عزة المسلم أن يقدم التنازلات لخصوم الإسلام وأعداء الدعوة، تبدأ هذه التنازلات قليلة صغيرة، وتنتهي بالانحراف الكامل في نهاية الطريق.. وخصوم الإسلام يدركون تمامًا أن الذي يقبل المساومة في دعوته ولو بشكل يسير في المرة الأولى، سوف يقبل بالتفريط فيما هو أكبر بعد ذلك، وهم يستخدمون مع هذا الصنف من الناس طريقة (العصر)، فكلما وجدوا منه استجابة ضغطوا عليه من أجل المزيد؛ كالليمونة لا تكف اليد عن عصرها حتى ينفد ماؤها ولا يبقى منها سوى (القشرة)، التي يكون مآلها سلة المهملات!!..

- كان المسلمون بعد موت النبي ﷺ كالغنم في الليلة المطيرة، كما وصفتهم السيدة عائشة -رضي الله عنها- حتى قال بعض المسلمين لأبي بكر: «يا خليفة رسول الله.. لا طاقة لك بحرب العرب جميعًا، الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين..

لكنه -رضي الله عنه- صاح في وجه عمر: «أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام؟! لقد تم الوحي واكتمل.. أفينقص الدينُ وأنا حي؟!، والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلنهم ما استمسك السيف بيدي»..

فما كــان من عمر -رضى الله عنه- إلا أن قــال: «لقد شرح الله صدر أبى بكر للقتال، فعلمتُ أنه الحق».

إن المؤمن المستـعلى بإيمانه، لا يغيـر جلده، ولا يتدنى بالاستـجابة لمبغضه وعدوه، وهو يقبل العذاب ولا يقبل إقرار الظالم على ظلمه، لا يداهن، ولا يفرّط، ولا يساوم، يحذر التدليس والافـتتان والاستدراج، ولا يركن إلى الطغاة ولا يتبع أهواءهم..

تهـون الحـيـاة وكل يهـون ... ولكـن إسـلامنا لا يهـون

إذا مـا أرادوا لنـا أن نمـيـل ... عن النهج قـلنا لهم: مسـتـحيل

لـنا نـهـجنـا مـن إله جـليـل ... وإنـا بـه أبـدًا مـؤمنون

هو الدين عـصـمـتنا فى الحـيـاة ... وليـس لنا من سـبـيل سـواه

نسـاوم لا أيهـا الغـاشـمـون ... نـداهن لا أيـهـا المارقـون

فـإسـلامنا نـبـضـنا والعـيـون ... علـى رغم مـا يـمكر الماكـرون

إلـى الدين فـالموت أولـى بنـا ... ولـسـنا نـفـرط فـى ديـنـنـا

● حكى الإمام الغـزالى فى كتاب «الأمر بـالمعروف والنهى عن المنكر» فى الإحـياء: أن شـيـخًا كـان يمـشى فى الطريق يلتـقط النوى من الأرض، فكسر عـودًا مع خادم يحمله إلى جـارية من جوارى هارون الرشيد، تغنى عليه.. وبلغ الخبر الرشيد، فـاستشاط غضبًا واحمرت

عيناه، وأرسل ليأتوا بالشيخ، فجـاءه الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال الشيخ: نعم، قال: اركب، فقال: لا..

فجاء يمـشى حتى وقف على باب القصر، ثم أُمـر بالشيخ وأُدخل، وفى كمـه الكيس الذى فيه الـنوى، فقال له الخـادم: أخرج هذا من كمك وادخل على أمير المؤمنين، فقال: مِنْ هذا عشائى الليلة.

- قال: نحن نعشِّيك.

- قال: لا حاجة لى فى عشائك.

- فقال الرشيد للخادم: أى شىء تريد منه؟

- قال: فى كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين.

- فقال الرشيد: دعه لا يطرحه.

فدخل وسلّم وجلس، فقال له هارون: يا شيخ؛ مـا حملك علـى ما صنعت؟

- قال: وأى شىء صنعت؟

وجعل هارون يستحيى أن يقول: كسرت عودى.

فلما أكـثر عليه قـال: إنى سمعتُ آباءك وأجـدادك يقرأون هذه الآية على المنبر: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ**﴾ [النحل: ٩٠]، وأنا رأيت منكرًا فغيرته، فقال له هارون: فغيِّره..

فلما خــرج، أعطى الخليفة رجلاً بدرة (عــشرة آلاف درهم)، وقال: اتبع الشيخ، فإن رأيته يقول: قلت لأمير المؤمنين وقال لي، فلا تعطه شيئًا، وإن رأيته لا يكلم أحدًا فأعطه البدرة. . .

فلمــا خرج من القــصر إذا هو بنواة في الأرض قــد غاصت فــجعل يعالجها، ولم يكلم أحدًا، فقال له: يقول لك أمير المؤمنين: خذ هذه البدرة، فقال له: قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها»[١].

● «وها هو ذا الشيخ سعيد الحلبــي -رحمه الله- جلس يومًا في الجامع الأزهر، يتكئ على عمود من أعــمدته، وقد مدّ رجليه ليــستريح من طول الجلوس، فــدخل الجامع إبراهيم بن مــحمــد علي حاكم مــصر وطاغيتها، فهرع الناس لاستقباله، وبقي الشيخ سعيد على جلسته لم يتحرك، وطاف إبراهيم في جنبــات المسجد حتى مر بالشيــخ سعيد، ووقف على رأسه غاضبًا، والشيخ ســعيد لا يأبه به ولا يلتفت إليه، ولا يعيره اهتمامًا. .

لقــد انصرف إبراهيم باشــا إلى قصــره، وحاول أن (يزحلق) العــالم الجليل، فأرسل إليه صرة من ذهب؛ يستــميل بها الشيخ ويفتنه، ولما قدم سفيــر الباشا إلى الشيخ وأبلغه تحيات البــاشا، وأنه قد أرسل إليه هذه الصرة من الذهب تكريــمًا له، وصلة للعلماء، فنفــر الشيخ من

(١) إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

الصرة، وكأنها ثعبان لدغه، وقال للسفير: قل لإبراهيم إن الذي يمد رجله لا يمد يده»(١).

إن الذين يتكسبون بالإسلام لا يستطيعون خدمته، والذين يركنون للظالمين سرعان ما يزيغون عن طريق الحق، ثم ينضمون إلى فريق الضلال والنفاق، ينافحون عن الفساد، ويقبلون العيش الذليل فى حمى الفساق والفاحشين.. ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٣]، ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

● تقول الحاجة زينب الغزالى فى مذكراتها (أيام من حياتى): أخذ رجال المباحث والمخابرات الناصرية يطلبون مقابلتى ويعرضون علىَّ عروضًا لإعادة المركز العام للسيدات المسلمات(٢)، وكانت هذه العروض تكلفنى أن أشترى الدنيا بالآخرة، وعلى سبيل المثال عرضوا علىَّ إصدار مجلة السيدات المسلمات باسمى كرئيسة للتحرير وصاحبة الامتياز مقابل ٣٠٠ جنيه شهريًا، على ألا يكون لى شأن بما يُكتب فى المجلة. وكان جوابى: مستحيل أن تصدر مجلة السيدات

(١) أسس فى التصور الإسلامى -نقلاً عن: الابتلاء والمحن فى الدعوات، مرجع سابق.
(٢) صدر قرار حل المركز العام الذى ترأسه السيدة زينب الغزالى فى ١٩٦٤/٩/٦م.

المسلمات من مكاتب المخابرات لتنشر علمانية العهد، لم أعتد إلا أن أكون مسئولة مسئولية فعلية.

كذلك عرضوا عليّ إعادة المركز العام وصرف إعانة قدرها عشرون ألف جنيه سنويًا، على أن يكون إحدى مؤسسات الاتحاد الاشتراكى، وكانت إجابتى: إن شاء الله لن يكون عملنا إلا للإسلام، ولن نهوى ولن نضل. وكان هذا الرفض يغضبهم، ولكنهم يحاولون إغرائى المرة بعد المرة، وكنت أتعجب من هذه الطريقة ومن إصرارهم على هذه المحاولات الفاشلة»(١).

- وهذا المرشد الثالث الأستاذ عمر التلمسانى يتلقى دعوة من إحدى المجلات لندوة من الندوات، وقد قدموا له مقابلاً فرفض بعزة وإباء قائلاً: «لو كنت أعلم أن الدعوة إلى الله تدفعون لها مقابلاً لما حضرت»، فقالوا له: إنها مصاريف الركوب والانتقال، فقال لهم: «عندى سيارة أعدها الإخوان لمثل هذه الأمور»، فقالوا له: ولكنهم جميعًا يأخذون. فقال لهم: «إننى لستُ من هذا الجميع، أنا رجل على باب الله».

وفى إحدى المرات ألقى عدة محاضرات فى دولة من الدول العربية، فجاءه أحد المسئولين فى تلك الدولة حاملاً مظروفًا به خمسة

(١) أيام من حياتى، زينب الغزالى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٩م.

وعشــرون ألف درهم، فقال له الأسـتاذ عمـر: ما هذا؟ وظن الرجل أن الأستاذ عـمر يستصـغر المبلغ فقال: إن غـيرك يأخذ نصف هذا المبلغ. فقال له الأستاذ: إنك فى وادٍ وأنا فى وادٍ آخر، أنا لا آخذ أجرًا على كلمـة ألقيها فى سـبيل الله، وإن كان لابد من دفع هذا المبلغ فـضعه فى بنـك من البنوك لحساب مـجاهدى أفـغانسـتان الأبرار».

وقـابله ذات مرة أحـد رؤساء الـوزارات المصرية فى زمن السـادات، وعرض عليه أن تدعم الحكومة مجلة الدعوة، فأبى الأستاذ عمر ذلك بشدة، وعلل هذا التصرف بقوله: «وسواء أكنت مصيبًا أو مخطئًا فإنه أفضل دائمًا أن يكون كلام الدعاة بلا مقابل؛ فذلك أدعى لاحترامهم وأدعى أن يكون الكلام يُبتغى به وجه الله»[1].

(١) عمر التلمسانى.. بين حماس الشباب وحكمة الشيوخ، مصطفى العدوى، دار الأقصى للكتاب، ١٩٨٧م.

فاقض ما أنت قاض

عنصر القوة فى الإسلام، كامن فى ملاءمته للفطرة البشرية، وفى الاستعلاء على العبودية للعباد ورفض الخضوع إلا لله رب العالمين، وفى عدم الوقوع تحت سلطان الطغاة المتسلطين، مهما اشتدت وطأتهم، ومهما قاموا بحملات القمع والإبادة، والتضليل والتشويه.

إن عقيدة المسلم تفرض عليه ألا يتوكل إلا على الله، وألا يركن لسواه، وألا يدعو غيره، فإذا وقع بينه وبين الظالمين صدام؛ ثبت فى الميدان، واحتمل الأذى والعذاب، صابرًا محتسبًا، موقنًا بنصر الله، وبوعده للصادقين المخلصين.. ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

والمسلم صحيح الإسلام، سليم العقيدة والفكر، يكون صلب العود، شديد الثقة بربه، وبالسبيل التى يسلكها، كما هو على ثقة أشد بتهافت الظالمين، وبسوء مآلهم، وبما هم عليه من خسران وبوار.. ﴿لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى

اللّهِ وأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٣، ٤٤].

وفى سبيل هذه العقيدة، يستهين المؤمن بكيد الطواغيت، ويسخر من قيودهم وأدوات تعذيبهم، لأنهم -لغبائهم- يعذبون الجسد، ولا يدركون أن مصدر النور ومنبع الإيمان، فى الصدر، وهو ما لا يستطيعون الوصول إليه.. ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

تالله ما الطغيان يهزم دعوة   يومًا، وفى التاريخ بر يمينى
ضع فى يدىّ القيد، ألهب أضلعى   بالسوط، ضع عنقى على السكين
لن تستطيع حصار فكرى ساعة   أو نزع إيمانى ونور يقينى
فالنور فى قلبى.. وقلبى فى يدَىْ   ربى.. وربى ناصرى ومعينى(١)

● قال عمرو بن العاص: مررتُ ببلال وهو يعذَّب فى الرمضاء، لو أن بضعة لحم وضعت لنضجت، وهو يقول: (أنا كافر باللات والعزى)،

(١) الملحمة النونية، ديوان (نفحات ولفحات)، د. يوسف القرضاوى، دار الصحوة للنشر، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٨م.

وأمية بن خلف مغتاظ عليه فيـزيده عذابًا فيقبل عليه، فيذهب خلفه فيغشى عليه، ثم يفيق»(١).

● ومر أبو بكر -رضى الله عنه- بأبى فكيهة واسـمه أفلح وقيل يسار -رضى الله عنه- وقد أخذه أمية بن خلف فربط فى رجله حبلاً، وأمر به فجُـرَّ، ثم ألقاه فى الرمـضاء، فمـر به جُعلٌ، فـقال: أليس هذا ربك؟ فقـال: الله ربى خلقنى، وخلقك، وخلق هذا الجُـعلَ. فغلظ عليه، وجعل يـخنقه، ومعه أخوه أبى بن خلـف يقول له: زده عذابًا حتى يأتى محمد فيخلصه. فأخرجه نصف النهار فى شدة الحر مقيدًا إلى الرمضاء، ووضع على بطنه صخـرة، فدلع لسانه، فلم يزل على تلك الحال حـتى ظنوا أنه قد مات، ثم أفاق فـمر به أبو بكر -رضى الله عنه- فاشتراه وأعتقه»(٢).

● وأعجب من ذلك، مـاشطة ابنة فرعون، التـى سقط المشط من يدها ذات يوم، فقالت: بسم الله، فرفعت ابنة فرعون رأسها وقالت: أبى؟ فقـالت الماشطة: لا، ربى ورب أبيك الله، فـقالت لهـا: أخبـرُ أبى بذلك إذًا؟! فقالت: أخـبريه، فأتى بها فـرعون وهو ليس لديه أدنى شك أنها ستراجع، فسألها فأعادت عليه الكلام نفسه..

---

(١) أنساب الأشراف ١/ ١٨٥ -نقلاً عن: الابتلاء والمحن، مرجع سابق.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٢/ ٤٨٠، ٤٨١ -نقلاً عن: الابتلاء والمحن.

فأحضر فرعون قدرًا من نحاس، فأوقد عليها النار حتى احمرت كالجمرة، فأعاد عليها الكلام فثبتت على دينها..

فأخذ طفلاً لها رضيعًا فألقاه في القدر، فإذا بالرضيع ينحمس كما تنحمس الحبة، فقالت له: لي عندك حاجة؛ أن تجعل رفاتي ورفات أبنائي في قبر واحد، فقال لها: لكِ هذا، ثم ألقاهم واحدًا تلو الآخر.. وهي تنظر وتحتسب».

يرفع المؤمنون شعار ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾، مؤملين في فرج الله القريب، غير مستعجلين، لعلمهم أن طريق المؤمنين محفوف بالمخاطر والفتن، وماذا يفعل العبيد وجيوش الظلم والإلحاد مع رسل الله والصالحين من عباده - إلا أذى، سرعان ما يكون بردًا وسلامًا على المتوكلين، ومقتًا وعذابًا على الظالمين.

وشتان بين دنيا فانية وعرض زائل، وما عند الله تعالى من نعيم مقيم، ومغفرة ورضوان.. تهون الحياة إذًا، ويُحتمل العذاب والبلاء، ويُستعذب القتل والسخرية والتشريد؛ في سبيل ما عند الله من فضل.. وهذا ما فعله سحرة فرعون، رحمهم الله أجمعين، فإنهم لم يترددوا لحظة في بيع أنفسهم وما يملكون لله، مقابل ما هو خير وأبقى: الجنة.. كما لم يفكروا لحظة فيما ينتظرهم من قتل وعذاب، بل العكس، تحدوا جبار الجبابرة، في لحظة من أروع لحظات الإيمان، فسجدوا -على رءوس الأشهاد- لله، معلنين الإيمان بالله، والكفر

بفرعون . . ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٧٠]، فتوعدهم الطاغوت، وأرغى وأزبد . . ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧١]، غير أنهم لم يعبأوا بقوله، ولم يلتفتوا لتهديده، حيث كانت أعينهم تنظر فى ملكوت أرحب، ونعيم ليس بعده نعيم، ولذا فإنهم لا يسمعون ما يقول، ولا يشعرون بوجوده من الأساس . . ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

إننا بحاجة -كل فترة- إلى التذكرة بمعانى الثبات، وبما يجب أن نقدمه لديننا وأمتنا من تضحيات . . وخصوصًا عندما يزداد كبر الباطل وعندما يزهو وتنتفخ أوداجه، طامعًا فى استئصال الحق وإفناء أتباعه . . تكون تلك التذكرة باستعراض سير الرسل والصالحين، وما لاقوه من أقوامهم، وكيف ثبتوا وتحدوا الملأ المترفين . . وتكون التذكرة أيضًا بالفهم الصحيح لحقيقة الدين، ودوره فى إصلاح الأمم وما يستتبعه ذلك الإصلاح من صعوبات، وما يقع على الفئة المؤمنة من عنت وإيذاء، يقول النبى ﷺ: «**إن الرجل قبلكم كان يمشط بأمشاط**

الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب، ويُنشر بالمنشار فرقتين؛ ما يصرفه ذلك عن دينه، والذى نفسى بيده ليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه.. ولكنكم تستعجلون» [البخارى].

● قال عروة بن الزبير فيما رواه ابن إسحاق عنه: أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه- اجتمع يومًا أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش القرآن يُجهر لها به قط، فمَنْ رجل يُسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا. قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إذا أرادوه. قال: دعونى فإن الله سيمنعنى. فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى، وقريش فى أنديتها، حتى قام عند المقام، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ**﴾ [الرحمن: ١، ٢]، ثم استقبلها يقرؤها، وتأملوه يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه يتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون فى وجهه.. وجعل يقرأ حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذى خشيناه عليك. قال: ما كان أعداء الله تعالى أهون علىّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدًا، قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون»[١].

---

(١) سبيل الهدى والرشاد ٢/٤٦٨، ٤٦٩- نقلاً عن الابتلاء والمحن، مرجع سابق.

● «يذكر البلاذري وغيره أن لبينة جارية بني مؤمل قد أسلمت قبل عمر ابن الخطاب -رضى الله عنه- فكان عمر يعذبها حتى يفتر، فيدعها ثم يقول: أما إنى أعتذر إليك بأنى لم أدعك إلا عدامة، أى تعبًا وإعياءً، فتقول: كذلك يعذبك الله إن لم تسلم»(١).

إن هذا التاريخ الناصع من التضحية فى سبيل الله، والاستهانة بمكر الماكرين، من أعداء وخصوم الإسلام، هو الذى أبقى الدين، وهو الذى سقى شجرة الحق حتى رأيناها نحن بيضاء نقية، وحتى سمعنا وشاهدنا رجالا عذبهم الطغاة المجرمون عذابًا لا يحتمله بشر؛ فلم يزد أحدهم على تفويض أمره لله، مستمسكًا بدينه، مستعليًا على الحكام، والأنظمة والعروش الواهنة وهى بيت العنكبوت..

● فالأخ إبراهيم الطيب.. أحد الشهداء الستة الذين أعدمهم الطاغية عبد الناصر، إثر محاولة اغتياله المزعومة بالمنشية.. وهو نموذج فذ للرجولة، والصلابة، والشجاعة، والصبر، والثبات، ورباطة الجأش. قالت عنه الصحافة المصرية وقت محاكمته: «إنه أجهد الأمن فى البحث عنه، وأجهد المحققين فى أخذ أقواله، وأجهد المحكمة والجمهور بردوده وإصراره وثباته».

- سُئل: ماذا فعلوا بك يا إبراهيم؟!

- قال: عذبونا عذابًا لم يذقه بشر.

---

(١) أنساب الأشراف ١/ ١٩٥- نقلاً عن الابتلاء والمحن.

– قيل له: وما كان شأنه -أى التعذيب- قبلك؟!

– أجاب: شأن أبى الأنبياء إذ أُلقى به فى النار، كان بردًا وسلامًا.

فى يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤، نُفذ حكم الإعدام فى إبراهيم الطيب وإخوانه..

وكانت آخر كلماته:

﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه: ٧٢]، **﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾** [الأنبياء: ٤٧][١]..

---

(١) مجلة لواء الإسلام، العدد الحادى عشر، السنة الثانية والأربعون، رجب ١٤٠٨هـ، فبراير ١٩٨٨م.

عـــزة العلمـــاء

العلماء هم ورثة الأنبياء، القائمون بأمر الله تعالى فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمحافظة على حـدود الله.. وهـم أكثر الناس خـشية لربهم.. ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ..**﴾ [فاطر: ٢٨]، الشاهدون له بالوحدانية.. ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران: ١٨]..

وللمـسئـوليـة التى فى أعناقـهم والدور الذى أوكلوا به، فـإنهم لا يخافون فى الحق لومة لائم، وكيف يخافون وهـم حملة الفقه وعلامات الناس ونجومهم فى الأرض؟!.. ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ..**﴾ [الأحزاب: ٣٩].

يقول النبى ﷺ «**يحـمل هذا العلم من كل خلف عـدوله، ينفـون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**» [البزار]، ويقول ﷺ: «**إن الله وملائكته وأهل الـسموات والأرض، حتى النملة فى حـجرها وحتى الحوت، ليصلّون على معلم الناس الخير**» [الترمذى]. ويقول أبو الدرداء -رضى الله عنه-: «مثل الـعلماء فى الناس كمـثل النجوم فى الســماء يُهتدى بها».

والطغاة في كل وقت وحين، لا يسئمون من إسكات العلماء؛ إما باحتوائهم وإغوائهم، أو بتشويههم وتحقيرهم والسخرية منهم.. يفعلون كل ذلك، للفتِّ في عضدهم، وتهوين شأنهم، ولإضعاف حماس من يتبعونهم ممن يصغون لفكر الإسلام ودعوته الراشدة.

وهناك للأسف قلة من العلماء تخضع لتهديد الطغاة، وتتبع أهواءهم، فيفتنون بذلك غيرهم، ويكونون قاصمة الظهر، لتهتكهم وصغار شأنهم، ولذا فإن الله حذر هؤلاء تحذيرًا شديدًا، ووبخهم أشد التوبيخ على الجريمة التي ارتكبوها في حق الله ورسالاته، يقول تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

لكن غالبية علماء الإسلام، على العهد الذي قطعوه على أنفسهم، كما جاء على لسان عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم -أو نقول- بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم» [البخاري].

ولذا رأينا نماذج من العلماء، ضربوا الأمثلة الرائعة فى الشجاعة وعزة النفس، والثبات على الحق..

- فها هو ذا الداعية الفقيه سعيد بن جبير يواجه طاغية زمانه الحجاج بن يوسف الثقفى، فلم يزل يجادله ويحاججه، شارعًا سيف الحق فى وجهه، حتى ضاق به الظالم الفاسق فقتله.. ليذهب سعيد إلى ربه شهيدًا، وليتخطف الردى ذلك الملعون بعد خمسة عشر يومًا من موت سعيد، تتلقاه ملائكة العذاب، يذيقونه كئوس (العزة والكرامة) التى جعلها الله للطغاة المستبدين..

- الحجاج: ما اسمك؟

- سعيد: سعيد بن جُبير.

- الحجاج: بل أنت شقى بن كُسير.

- سعيد: بل كانت أمى أعلم باسمى منك.

- الحجاج: شقيت أنت وشقيت أمك.

- سعيد: الغيب يعلمه غيرك.

- الحجاج: لأبدلنك بالدنيا نارًا تلظى.

- سعيد: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا.

- الحجاج: فما بالكَ لا تضحك؟

- سعيد: وكيف يضحك مخلوق خُلق من طين والطين تأكله النار؟

- الحجاج: فما بالنا نضحك؟

- سعيد: لم تستو القلوب.

وفكر الحجاج فى أن يستميل قلب سعيد بن جبير بالمغريات والماديات، فأمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت، فجمعه بين يدى سعيد ابن جبير.

- فقال له سعيد: إن كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيامة فقد أخطأت، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير فى شىء جُمع للدنيا إلا ما طاب وزكا.

ثم دعا الحجاج بالعود والناى، فلما ضُرب بالعود ونُفخ فى الناى بكى سعيد بن جبير.

- فقال الحجاج: ما يبكيك؟ أهو اللهو؟

- قال سعيد: بل هو الحزن، أما النفخ فقد ذكرنى يومًا عظيمًا؛ يوم ينفخ فى الصور، وأما العود فشجرة قُطعت فى غير حق، وأما الأوتار فإنها أمعاء الشياه يُبعث بها معك يوم القيامة.

- فقال الحجاج: ويلك يا سعيد.

- سعيد: الويل لمن زُحزح عن الجنة وأُدخل النار.

- الحجاج: اختر يا سعيد أى قتلة تريد أن أقتلك؟

- سعيد: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة.

- قال: أفتريد أن أعفو عنك؟

- قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

- قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه.

- فلما خرج من الباب ضحك، فأُخبر الحجاج بذلك فأمر برده.

- فقال: ما أضحكك؟

- قال سعيد: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك.

- قال الحجاج: اقتلوه.

- فقال سـعيد: وجهت وجهى للذى فطر السمـوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين.

- قال الحجاج: شدوا به لغير القبلة.

- قال سعيد: فأينما تولوا فثم وجه الله.

- قال الحجاج: كبوه لوجهه.

- قال سعيد: منها خلقناكم وفيــها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى.

- قال الحجاج: اذبحوه.

- قال ســعيــد: أما إنى أشــهد أن لا إلا الله وحــده لا شريك، وأن محمدًا عبده ورسوله. خذها منى حتى تلقانى يوم القيامة.

ثم توجه سعيد بن جبـير بالدعاء إلى الله قائلاً: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى.

وقُتل سعيد بن جبير رحمه الله وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة يعانى المرض ثم مات..

وكان ينادى بقية حــياته قائلاً: ما لى ولسعيد بن جـبير، كلما أردت النوم أخذ برجلى!!.

● وهذا العز بن عبد السلام، وقد أفتى بأن حكم الرق ما زال مضروبًا على أمراء المماليك -الحكام وقتها- حيث لم يثبت لهم وصف الحرية وقد اشتُروا بأموال المسلمين.. فلمــا بلغهم ذلك اشتد الأمر عليهم، وهو مصمم على فتواه، لا يصــحح لهم بيعًا ولا شراءً، ولا زواجًا، فلما تعطلت مصالحهم أرسلوا إليــه يشاورونه فيما يرى لحل المشكلة، فقال لهم: نعــقد لكم مجلسًا، ويُنادى عليكم لـبيت المال، ويحصل عتقكم بطريق شرعى..

فدفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فقال: هذا حكم الإسلام، ولا يسعني أن أرجع عنه، فأراد هؤلاء الرؤساء أن ينالوا منه، فاعتزم الهجرة، حمل أهله وحوائجه وقصد إلى الشام، فلم يسر إلا قليلاً وتبعه الناس... وكادت تكون فتنة.

وبلغ الخبر السلطان فاستدعاه وأرضاه، وجمع بينه وبين الرؤساء والأمراء، وقال لهم: هذا حكم الدين ولا يسعنا أن نخالفه. فماذا يرى الشيخ؟ فقال: أنادى عليهم، وأبيعهم وأعتقهم باسم المسلمين.

قالوا: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: فى مصالح المسلمين.

قالوا: من يقبضه؟ قال: أنا.. وتم له ما أراد، ونادى عليهم واحدًا واحدًا، وغالى فى ثمنهم، وقبضه ورده إلى بيت المال، وأعلن عتقهم وحريتهم، وأشرف على إنفاق هذا المال فى مصالح الأمة.

- وهذا شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق -رحمه الله- يرفع اسم الأزهر شامخًا أبيًا، مستعصيًا على الأنظمة البائسة، مستبسلاً فى الذود عن الإسلام وشريعته الغراء..

لما عُقد مؤتمر السكان الدولى المشبوه بالقاهرة عام ١٩٩٤، أرادت السلطة الحاكمة أن تمرر وثيقة المؤتمر التى تبنتها الصهيونية العالمية، وتدعو صراحة إلى إباحة الشذوذ الجنسى، والزنى، والإجهاض..

إلا أن الإمـــام الراحل أذهب غـــيظ قلوب المؤمنـين وشـفـــا صدورهم، وصــفع العصــاة الإباحيين على وجـوههم، وأثبت لهم أن صوت الأزهر باق باق، وأن أمــة محمد مازالــت بخير. . إذ سرعان ما قدم تقريرًا علميًا وافيًا بــأضرار ما تدعو إليه الوثيقة، أعقبه ببيان شديد اللهجة، يرفض المؤتمر ووثيقته، لمخالفتها شريعة الإسلام، ومحذرًا الأمة الإسلامية من مــجرد النظر فى وصايا المؤتمر الصهيونى الضال.

● وهذا الأوزاعي. . يقول كـلمة الحق بجرأة بالغــة في وجه جـبار من الجبابــرة، بعد أن اغتسل ولبس أكـفانه استعـدادًا للموت، مستلهـمًا جرأته تلك من حول الله وقوته. . لما فتــح عبد الله بن على العباسى دمشق، قتل فى ساعة واحــدة ستة وثلاثين ألفًا من المسلمين، وأدخل بغاله وخيوله المسجد الأموى الكبير، ثم جلس للناس وقال للوزراء: هل يعارضنى أحــد؟ قالوا: لا. قال: هل ترون أحدًا ســوف يعترض علىّ؟ قالوا: إن كان فالأوزاعى، قال: تعالوا به.

فذهب الجنود للأوزاعى فما تحــرك من مكانه، قالوا: يريدك عبد الله بن على، قــال «حسبنا الله ونعم الوكـيل»، انتظرونى قليــلاً، فذهب فاغتسل، ولبس أكفانه تحت الثياب، ثم قــال لنفسه: الآن آن لك يا أوزاعى أن تقول كلمة الحق، لا تخشى فى الله لومة لائم. .

ثم يصف دخوله على هذا السلطان الجبار فيقول:

دخلت فإذا أساطين من الجنود صفان، قد سلّوا السيوف، فدخلت من تحت السيوف حتى بلغت إليه، وقد جلس على سرير وبيده خيزران، وقد انعقد جبينه عقدة من الغضب، قال: فلما رأيته والله كأنه أمامي ذباب، فما تذكرت أحدًا، لا أهلا ولا مالا ولا زوجة، وإنما تذكرت عرش الرحمن إذا برز للناس يوم الحساب، قال: فرفع بصره وبه غضب عليّ ما الله به عليم، قال: يا أوزاعى، ما تقول فى الدماء التى أرقناها؟ قال الأوزاعى: حدثنا فلان.. قال: حدثنا ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**» [البخارى ومسلم]، فإن كان من قتلتهم من هؤلاء فقد أصبت، وإن لم يكونوا منهم فدماؤهم فى عنقك، قال: فنكث بالخيزران، ورفعت عمامتى أنتظر السيف، ورأيت الوزراء يستجمعون ثيابهم ويرفعونها عن الدم.

- قال: وما رأيك فى الأموال؟

- قال الأوزاعى: إن كانت حلالاً فحساب، وإن كانت حرامًا فعقاب!!

- قال: خذ هذه البدرة (كيس مملوء بالذهب).

- قال الأوزاعـي: لا أريد المال، قال: فـغمزنى أحـد الوزراء- يعنى خذها.

ثم أخذ الكيس ووزعه على الجنود، ثم رمى به وخرج.

- قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قلناها يوم دخلنا وقلناها يوم خرجنا ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ارفع جبينك يا وريث محمد

سلامٌ على الدنيا سلامٌ على الورى إذا ارتفع العصفورُ وانخفض النسرُ

نعم، فإن العزيز هو الله، ورسوله، والمؤمنون. . وإن المستكين الذليل هو النجس الذى لا يعرف السجود والركوع لخالق الأرض والسموات، فأيهما أحق بالكرامة والرفعة، وأيهما أحق بالعزة والأمن؟!

خلُّوا الطريق لنا فنحن الناس أما الذين بغوا فهم أنجاس
وارفع جبينك يا وريث محمد حتى يراع الغادر الخناس
وأشهر سلاحك فالحقيقة أنه بسلاحنا كل الأمور تساس
وانفض قيود الذل عن ساحاتها حتى يذوب الذل والنخاس[(١)]
واهتف معى بالحق هتفة مسلم: «فلتسقط الأقلام والقرطاس»[(٢)]

لقد قام دين الإسلام على دعائم قوية من الإيمان بالله، والزهد، والتضحية. . فلا يعرف أهله اليأس، أو الضعف، لثقتهم أن الضعيف لا يظل ضعيفًا طول حياته، وأن القوى لا تدوم قوته أبد الآبدين. .

(١) تاجر الرقيق.
(٢) ديوان (لله والحق وفلسطين)، د. جابر قميحة، مرجع سابق.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

ومن التضحية أن تتنكر لمن تنكر لدينك، وأن تقاطع من عادى الله ورسوله، فلا يكون بينك وبينه صلة، ولا معاملة ولا مؤاكلة ولا مشاربة، وفي الحديث: «**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض**». [أبو داود].

إن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، وإن رسالته هي خير الرسالات، ونهجه أفضل المناهج، وشريعته أكمل النظم التي تتحقق بها سعادة الناس أجمعين.. ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤]، ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الجاثية: ١٨].

وإذا كان المسلمون هم أهل الحق، وحملة النور، ومادام بين أيديهم هدى السماء، فيجب -إذًا- أن يكونوا أساتذة الناس، يرشدونهم، ويقومونهم، ويقودونهم إلى الخير، ويجب أيضًا أن يكونوا على يقين أن الله ناصرهم ومؤيدهم إذا تخلى عنهم الناس، وأنه سوف يدفع عنهم إذا أعوزهم النصير.. ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: ٤٠].

إن سر الاستعلاء بالإيمان، والشعور بالثقة والرسوخ، «يكمن في الإرادة، وإيمان الإنسان بالمبدأ الذي يسير عليه، فالدنيوي لو أن الدنيا ذهبت منه فقد خسر كل شيء، لكن الإنسان المؤمن الذي يؤمن بأنه ذاهبٌ إلى جنة عرضها السموات والأرض، يريد أن ينتقل من دنيا فانية إلى الراحة والطمأنينة والاستقرار عند رب العالمين، فهو ينتظر هذا اليوم، ويستبسل ويقاتل من أجل الفوز في هذا اليوم، ويثبت في الميدان حتى آخر رمق في حياته»(١).

● يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «رفعتُ رأسي في بيت النبي ﷺ فوالله ما رأيت فيه شيئًا يرد البصر إلا أهبًا ثلاثة، فلما رأيت أثر الحصير في جنبه قلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسِّع على أمتك، فقد وسَّع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله.. فاستوى النبي ﷺ جالسًا ثم قال: **«أفيَّ شك يا ابن الخطاب؟!، أولئك قومٌ عُجِّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»** [البخاري ومسلم].

أنا مسلمٌ سرُّ الكرامة في دمي ... وعقيدتي التوحيد ليس فخارا

أنا مسلمٌ عودي قويٌّ راسخٌ ... سأقاوم التيار والإعصارا

أنا مسلمٌ أمشي بخطو ثابت ... وأقارع الأهوال والأخطارا

أنا من يحوز المجد من أطرافه ... ويحوِّل التاريخ والأسفارا

حريتي عزمي وذلي شهرتي ... أنا دستها وصنعتها إكبارا

---

(١) أحمد ياسين.. شهيد أيقظ أمة، عامر شماخ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٤م.

● لما بعثت قريش أبا سفيـان إلى المدينة، لتلافى ما وقع منها من إعـانة بنى بكر علـى خزاعـة بـالمال والسـلاح. . وعند نزوله المدينة، دخل على ابنته أم حبيبة -زوج النبى- وأراد أن يجلس على فراش رسـول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية!، مـا أدرى؛ أرغبت بى عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قـالت: بل هذا فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس، قال: والله لقد أصابك بعدى شر»[(١)].

ألا فليوقن المسلم أن الله بالغ أمـره، وناصر جنده، وهازم الأحزاب وحده، «**ليبلغن هذا الدين مـا بلغ الليل والنهار، ومـا يترك الله بيت وبر ولا مـدر إلا أدخله بعز عـزيز أو بذل ذليل، عـزًا يعز الله به الإسـلام وأهله، وذلاً يذل الله به الكفر وأهله**» [ابن حبـان]، وليوقن أن لواءه سيظل مرفـوعًا، وعنقه سيبـقى ممدودًا مطاولاً السماء، ما دام معتـزًا بالله، محافظًا على تركة نبيه محمد ﷺ. . أما إن انتكس وساء خلقه واعتز بغير الله، فلن يجنى سوى الغواية والانكسار. .

أأبكـى عليـك؟! أأبـكى إلـيك؟!　　أأبكـى علينـا لما قـــد جنيت؟!
فـفـى غـدك المســتبـاح الجـريح　　ســتـصـرخ «يا ليـتنى مـا انحنيت»
ويرتد ســهــمك فـى مــقلتـيك　　ولن ينـقـــذ البـيــت آلاف «ليت»

---

(١) البداية والنهاية- نقلاً عن: السـيرة النبوية، للدكتور على محـمد الصلابى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠١م.

فليس لما قد كسرت الجبارٌ ... بما قد جررت، وما قد غويت
وتدرك بعد فوات الأوان ... بأنك لما انحنيت.. انتهيت
ومادمت قد بعت حتى الحطام ... ولم تبق أمًّا، وأرضًا، وبيت
وإنى أخشى غدًا أن تبيع ... عظامى، وقبرًا به قد ثويت[1]

● يقول الأستاذ عمر التلمسانى[2]: «ذهبت فى سنة ١٩٧١ مع قريب لى لزيارة رئيس إدارة النيابات، لرفع الاشتباه غير القانونى الذى وضعنى فيه البوليس من أذناب عبد الناصر، وقد حملنى قريبى هذا حملاً من أجل هذه الزيارة التى سرتنى وأثلجت صدرى.. فبعد استجابة رئيس النيابات وإلغاء الإنذار، دخل أحد وكلاء النيابة علينا وطلب -فى انفعال- من رئيس النيابات، نقل الساعى الخاص به، لأنه يرفض أن يشترى له السجائر والأشياء الخاصة، ويقول إنه يتقاضى راتبه من الحكومة للقيام بالأعمال المصلحية وليس للخدمات الخاصة..

فقال رئيس النيابات لمرءوسه: لك ما طلبت فإنى بحاجة إلى مثل هذا الرجل، الذى يعتز بكرامته رغم صغر وظيفته..

(١) ديوان (لله والحق وفلسطين)، مرجع سابق.

(٢) الملهم الموهوب، عمر التلمسانى، ص ٢١- ٢٣- نقلاً عن: مواقف وطرائف من حياة الدعاة المعاصرين، مرجع سابق.

ويستطرد الأستاذ عمر: وحرصت على معرفة هذا الساعي الشجاع، فتعرفت إليه، فإذا هو أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، فسألته عن سبب تصرفه بهذا الشكل مع رئيسه أجاب: «إن حسن البنا طلب مني أن أحترم رؤسائي، وأن أحترم -في الوقت ذاته- نفسي أمامهم، بأداء واجبي نحوهم على الوجه الأكمل. وأوصاني أن أترفع عن القيام بالأعمال التي لا تليق بالأخ المسلم». أ. هـ.